

التربيـة الـاجـتمـاعـيـة فـي الـقـرـآن الـكـرـيم

لـلـأـسـتـاذـ حـسـنـ كـامـلـ الـمـطـاوـي

وـكـيلـ دـارـةـ الـخـاتـمـة



مـحـاـضـرـةـ الـقـاـهـرـةـ بـالـبـحـارـةـ بـالـقـاـهـرـةـ

ـجـمـادـىـ الـأـوـلىـ ـ١ـ٣ـ٨ـ١ـ

ـ١ـ نـوـفـيـرـ ـ١٩ـ٦ـ

التربية الاجتماعية في القرآن الكريم

لماذا تخيرت الكلام في موضوع التربية الاجتماعية :

دعاني للكلام في موضوع التربية الاجتماعية حديث جرى فيه على أثر سؤال وجهه إلى ابن أخي السيد / ماهر الملطاوى الطالب بكلية التجارة . وهو شاب ناشئ في طاعة الله . و كنت وإيابه على سفر بالسيارة في رمضان الفائت ، ثم تتبع الحديث بيني وبين نخبة من أحبابي بمعاغة (وهي بلدتنا الحبيبة) في الموضوع ذاته يوم العيد ولم أكن أقدر أن مجال القول فيه سيتسع إلى الأفق الذي وصل إليه مع جمع الأحباب . وقد أبدوا لي بعد الحديث رغبة ملحة في تسجيله كتابة ليعم به النفع ، ولقد استجبت لرغبتهم الكريمة بهذا البحث .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإني من الداعين إلى التصوف . وقد عرفوه بأنه الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دنى ، والخلق قائم على المعاملة ، معاملة الخالق ومعاملة المخلوقين . وبحيث الموضوع يمكن إخوانى المؤمنين من التحلى بالأخلاق الإسلامية الصحيحة التي جلالها لهم القرآن الكريم ببيانه المعجز لفظاً ومعنى كما بينتها السنة المحمدية المظهرة ، وبالله التوفيق .

الإيمان بالله واليوم الآخر

وأساس الصلاح في المجتمع أن يؤمن الناس بإله واحد لا شريك له لا شيء قبله ولا شيء بعده سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء علیم ، لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار وهو اللطيف

الخبير ، يirth الأرض ومن عليها ، ويعثهم ليوم لا ريب فيه ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وهذا الإيمان يوجه الناس إرضاء ربهم ، الذي يعلم سرهم وجهرهم ليحصلوا على جزاء سعيهم يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

وتربية الوجدان على مراقبة الله تعالى لا تقوم إلا عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، ومن هنا كان للدين على أرواح أهل الإيمان سلطان ما بعده سلطان .

الإيمان بالرسالة المحمدية :

ولما كانت الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات فقد جاءت مسک الختام فمن آمن بها فقد فاز فوزاً عظيماً .

ومن فضل الله على عباده أن بقيت لهم معجزة القرآن على مر الأزمان متحدية الإنس والجن ومنادية بالإيمان ووجهة إلى كل فضيلة وناهية عن كل رذيلة في إجمال رائع فصلته السنة المطهرة في إحاطة تامة .

ولقد جعل الله في رسوله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، فمن تشبه به في عبادته وآخلاقه فقد هدى إلى الصراط المستقيم .

نور الإسلام بشرق على ظلمات الحياة الاجتماعية :

وقد جاء الإسلام بعد نحو من ستة قرون من رسالة المسيح عليه السلام فقابل في المعمورة كلها فساداً شاملـاً في أحوال الناس الاجتماعية . فمن عبادة أوثـان ، إلى سفاح سافـر ، إلى وأد بنات ، إلى حروب متلاحقة وأرحـام متقاطـعة ، إلى كبراء يملـكون الرقـاب ، إلى ملـوك يتحـكمون في العـباد ، إلى تصرفـات يخـبطـون فيـها خـبطـ عـشوـاء عن جـهـالـة جـهـلـاء وـغـيـ لا يـعـرـفـ طـرـيقـاً للـرشـاد .

قابل نور الإسلام كل هذه الظلمات فبدها واحدة واحدة ، فدعا الناس أول مادعاهم إلى توحيد الله والاعتراف برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تعبدهم بصلوات خمس تربط على هذا التوحيد وتذيقهم لذة مناجاته تعالى ، ثم إلى صيام يطهر نفوسهم ويربيها على الأمانة ويقوى إرادتهم في اتصالها بالملأ الأعلى ، ثم إلى زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ثم إلى حج يجمع رابطهم على أخوة في الله ، ثم إلى التحلى بمكارم الأخلاق المحمدية التي لا توازيها أخلاق ، فيرى بعضهم بعضاً إخواناً متحابين موحدين يؤمنون باليه واحد ويدينون بالكتاب والسنن ويصلون إلى قبلة واحدة ويحجون إلى بيت واحد ، ولا يتولد عن هذه الظواهر إلا التماسك مهما اختلفت الأجناس وتبانت الألسن .

وما كادت الجزيرة العربية . وهي التي أشرق منها على العالم نور الإسلام . تستجيب لهذا الدين القيم حتى تحول أهلها من حياة الفوضى إلى الحياة المثلث ، وبفضل هذه الحياة المثلث ، تحولوا من رعاه غنم إلى ساسة أمم ودال لهم الشرق والغرب وتقوضت بجهادهم عروش كسرى وقيصر ولا يعرف العالم أمة صبغت بفتحاتها الأمم الأخرى كما فعل مسلمو العرب ولا عرف التاريخ أمماً رحب بدين يدين به الفاتحون كما رحب العجم بدين العرب ، وهذه والله بركات الإسلام الذي ارتضاه الله ديننا لعباده وقال تعالى في شأنه : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ^١)) ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننهدى لو لا أن هدانا الله ، ولا عجب فقد عنى الإسلام بحياة الناس الاجتماعية عناية كبرى

^١ الآية ٣ من سورة المائدة .

جعلت من المسلمين الأوائل طرزاً عجيباً حبب إلى غيرهم اعتناق دينهم والتخلق بأخلاقهم ، ذلك إجمالي يقتضي المقام أن أتبعه بتفصيل يهدينا إن شاء الله سواء السبيل .
الاعتقاد بالإيمانيات الأخرى :

ويلحق بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر الاعتقاد بسائر الإيمانيات من الجنة والنار والصراط والميزان والثواب والعقاب وكل ما نزل على حببنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وما نزل على أحببنا المرسلين قبله صلوات الله عليهم أجمعين .

التخلق بالأخلاق المحمدية يؤدي إلى صلاح المجتمع :

فإذا وقر الإيمان في القلوب فيجب أن يصحبه التطبيق العملي الدال على صحة الاعتقاد وإن كان إيماناً بالتمني وهيئات أن ينفع صاحبه ، وما عرفت البشرية في تاريخها طريقة للتطبيق العملي أو ضح ولا أيسر ولا أجدى مما أتانا حببنا المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد استقام صلى الله عليه وسلم كما أمره الله فنال من ربه أعظم شهادة ((وإنك لعلى خلق عظيم))

ولم يؤمر وحده صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر الله بل خوطب هو وأمه بقوله تعالى :

((فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير)) .

وها أنا ذا أذكر إخوانى المؤمنين بالنهج الذى دعا إليه القرآن الكريم فى التربية الاجتماعية وكثيراً ما يمر الناس على الآيات التى وردت فيها ولا يعونها . ومن وعاها لا يطبقها عملياً ، وترك التطبيق العملى

^١ الآية ١١٢ من سورة هود .

أو التقصير في بعض نواحيه هو الذي أخرنا عن مستوى أسلافنا الصالحين . فالقرآن لم يتغير وأحكام الدين لم تتبدل وإنما جاء التغير في أحوال الناس لتفريطهم في التزام الآداب الشرعية .

التربية الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام :

ولما كان الإنسان مختطاً بين جنسه ولا يستطيع أن ينفك عنهم ، فقد علمه الله في كتابه كيف يعامل الناس ب التربية الإسلامية عالية لو حرص الناس على اتباعها لا نتهي بهم إلى حياة اجتماعية مثل وإليكم بعض نواحيها :

معاملة الوالدين :

ولما كان أصدق الناس بالإنسان والديه ، وهم صاحب الفضل بعد الله عليه ، فقد علمه ربه كيف يعاملهما سلباً وإيجاباً . فقال جل شأنه : ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغ عنك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أَفَ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واحفظ لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمها كما ربياني صغيراً)) ،

ولما كانت للأم مشقات خاصة في الحمل والرضاعة فقد ذكر الله الإنسان بها فقال : ((ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشدده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى في ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين ، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في

^١ الآياتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الإسراء .

أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ^١) .

وأنت ترى من هذه الآيات وغيرها أنه تعالى أرشدك بعد توحيدك إلى الناحية السلبية في معاملة والديك بكاف الأذى عنهم وإلى الناحية الإيجابية ببرهما والدعاء لهم بالرحمة ، ولا غرابة فقد رحماك وأنت ضعيف لا حول لك ولا طول ، فيجب عليك أن تقابل الجميل بالجميل .

ثم إن الله تعالى قد ضرب لك أروع الأمثل فيما قصه عليك في القرآن الكريم من أنباء الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وإليكم بعضها : فقد حكى عن سيدنا إبراهيم أنه قال لا بنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام : (فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يأبى أفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ^٢) .

كما برب لك رقة سيدنا إبراهيم عليه السلام في مخاطبة أبيه وقد زجره بقوله : (قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمتك واهجرنى مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بي حفيا ^٣) .

وصور الله لك حنان سيدنا يوسف عليه السلام وهو يقول لأخوه : (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ^٤) .

^١ الآياتان ١٥ ، ١٦ من سورة الأحقاف .

^٢ الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

^٣ الآياتان ٤٦ ، ٤٧ من سورة مريم .

^٤ الآية ٩٣ من سورة يوسف .

كما صوره فى موقع حنان آخر حين رجعوا إليه :
 ((ورفع أبويه على العرش وخرعوا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤيائى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد نزغ الشيطان بينى وبين إخوتي إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ^١)) .

وجاء فى وصف سيدنا عيسى عليه السلام :
 ((وبرا بوالدته ولم يجعلنى جبارا شقيا ^٢)) .
 وجاء فى وصف سيدنا يحيى عليه السلام .
 ((وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ^٣)) .

ويبيين لنا صورة عكسية فيما كان بين سيدنا نوح عليه السلام وابنه فقد قال له :
 ((ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم)) وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ^٤)) .

وما أعظم الفارق بين نهاية سيدنا إسماعيل عليه السلام الذى أطاع أباه فافتداه الله بذبح عظيم وبين نهاية ابن نوح الذى عصى أباه فكان من المغرقين .
 ولا تظنوا يا إخوانى أن بر الوالدين يكون فى حياتهما بل يجب برهما بعد موتهما بالصورة التى بينهما حبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى الصاح عن أبي أسد مالك بن ربيعة الساعدى أن رجلا قال

^١ الآية ١٠٠ من سورة يوسف .

^٢ الآية ٣٢ من سورة مريم .

^٣ الآية ١٤ من سورة مريم .

^٤ الآياتان ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود .

يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شيء أبىهما به بعد موتهما قال : نعم ، الصلاة عليهم والاستغفار لهم وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما . أخرجه أبو داود .

ولما كل الزواج أساساً لعمران المجتمع فقد عنى القرآن الكريم بالحياة الزوجية أيما عنایة وأرادها قائمة على المودة والرحمة والترابض والتشاور والتعاون واليكم التفصيل .

أما عن المودة والرحمة بين الزوجين فقد قال تعالى :

((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتذكرون)) .

فالزوجية الصالحة يجب أن تقوم على المودة والرحمة وكل زواج يقوم على غيرهما لا يقوم على النهج الإسلامي الصحيح .

ثم إن الله تعالى وهو العليم بخلقه رسم للأزواج سبيل التصالح إن وقع بينهما شقاق في قوله تعالى :

((وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلهما إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً)) .

وكذلك قال تعالى :

((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهم أن يصلحاً بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتنقروا فإن الله كان بما تعلمون خبيراً))
وإذا قال الله والصلح خير كان علينا أن نعمل جاهدين للحصول

^١ الآية ٢١ من سورة الروم .

^٢ الآية ٣٥ من سورة النساء .

^٣ الآية ١٢٨ من سورة النساء .

على هذا الخير . و يؤخذ من مفهوم المخالفة أن الفرقة شر وكيف لا تكون شرا وفيها شتات الأسرة و تقويض بنianها .

والمتأمل في كتاب الله الكريم يرى أنه حرص في أكثر من موضع آخر على صيانة كيان الأسرة ووضع الحلول لتفادي مساوى افراق الزوجين وكفى عظمة المؤمنين ما حكا الله في سورة المجادلة من أن يستمع الله في علائه لزوجة تجادل في زوجها حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنتهي القصة بحكم شرعى يلم شتات الأسرة ويبقى على سعادة الزوجين والأولاد . وللاعتبار في الحياة الزوجية بقصة المجادلة نسوقها مفصلاً كما روتها كتب الآئمة المفسرين .

يقول الله تعالى في سورة المجادلة :

((قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركم إن الله سميع بصير ، الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلى اللائي ولدنهن وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لغفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرر رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإنطعام ستين مسكينا ذلك لئهمنوا بالله ورسوله و تلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم)) .

والتي جادلت في زوجها هي السيدة خولة بنت ثعلبة زوجة الصحابي الجليل أوس بن الصامت رضي الله عن الصحابة جميعا .

وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في قصتها تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إنني لآسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكى

^١ الآيات ١ - ٤ من سورة المجادلة .

زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول : يارسول الله أكل شبابي ونشرت له بطني حتى إذا كبر سني وأنقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكوا إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية :

((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله))

ظاهر مني أى قال أنت على كظهر أمى ، وكان الظهار من الطلاق في الجاهلية . وفي رواية أخرى أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا ثم قالت أشكوا إلى الله فاقتى ووحدتى ووحشتى وفرق زوجى وابن عمى وقد نفست له بطني فقال حرمت عليه فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت الآية .

وروى مولانا الحسن أنها قالت يارسول الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي ظاهر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إلى في هذا شئ فقلت يارسول الله أوحى إليك في كل شيء وطوى عنك هذا فقال هو ما قلت فقالت إلى الله أشكوا فأنزل الله : قد سمع وجاء في تفسير الأمام النسفي أنها قالت إن لى صبية صغارا إن ضمتمهم إليه ضاعوا وإن ضمتم إلى جاعوا .

وكل هذه الروايات متفقة في المغزى وإن اختلفت في اللفظ . وإن دلت هذه القصة الرئعة على شيء فإنما تدل على أن الله تعالى يحب من عباده أن يصونوا رباط الزوجية حتى لا تشقى الأسرة كلها بفك ذلك الرباط الظاهر ، وقد أنزل الله حكم الفدية في الظهار على التفصيل الوارد في السورة تجنبًا للفرقة ، كما أن حبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم جاري مشيئة الله العالية فأعان بهمه أوس بن الصامت في الفدية وتفصيل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال له : اعتق رقبه قال : مالي بذلك يدان قال :

فصم شهرين متتابعين قال : أما أنى إذا أخطأتى أن آكل فى يوم ثلاث مرات يكل بصرى قال فأطعمن ستين مسكينا قال : ما أجد إلا أن تعيننى منك بعون وصلة . قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له .

وقد رفعت سور المجادلة مكانة السيدة خولة بل خلتها فى النساء والواقع أنها أبرزت إخلاصها لزوجها ولأولادها وضررت للزوجات مثلا باقيا بقاء السموات والأرضين . والدليل الذى أسوقة على رفعة مكانتها إجلال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لها فقد مر بها رضوان الله عليه والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أىقين بالموت خاف الفوت ، ومن أىقين بالحساب خاف العذاب . وهو واقف يسمع كلامها ، فقيل له يا أمير المؤمنين أتتف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستى من أول النهار إلى آخره لازلت إلا للصلة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة قد سمع الله قولها من فوق سبع سموات أىسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر .

فهلا وقف رجالنا ونساؤنا على مفاحر هذه القصة الخالدة فاتعظوا بها فأمسك الرجال عليهم زوجانهم وأخلصت النساء لأزواجهن وأولادهن مثل إخلاص خولة حتى تتفادى الأسر الكدر والخصام وتعيش فى صفاء وسلام .

ولاشك أن هناك اسبابا لصفاء الأسرة وسلامتها رسمها الله واضحة بينه فى كتابه الكريم وهى :

التراضى والتشاور بين الزوجين :

يقول تعالى في سورة البقرة :

((والولادات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراضى منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتتكم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعلمون بصير ^١)) .

وإذا كان الله يريد من الزوجين أن يتم فطام الطفل عن تراضى وتشاور بين الزوجين فبالقياس يحب الله من الزوجين أن يقوم بينهما التراضى والتشاور فى الأمور الأخرى التى تمىص صالح الأسرة فلا ينفرد بها الزوج عن تعتن ولا تستقل بها الزوجة عن إمرة فيدب الخلاف الذى قد تسوء عقباه .

التعاون المالى بين الزوجين .

ومع أن الإسلام جعل النفقه على عاتق الرجل فى قوله تعالى :

((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم))
فإنه دعا النساء إلى التعاون المالى مع أزواجهن بتعبير جميل فى قوله تعالى :
((وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسها فكلوه هنئا مريئا ^٢)) .

^١ الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

^٢ الآية ٣٤ من سورة النساء .

^٣ الآية ٤ من سورة النساء .

وبقوله تعالى فإن طبع لكم عن شيء منه نفسها استبعد أن يأخذ الرجل المال عنوة من النساء أو تحت تهديد الطلاق أو الفراق .

وفي حين يكون المال المأخوذ عن طيب نفس من الزوجة هنيئاً مريئاً يكون الافتياط على حقها في مالها بعهاتها وإنما مبيناً كما بينت الآية الكريمة . ((وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتتكم إدعاهم فلَا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بعهاتها وإنما مبيناً ^١)) .

وقد أعلنت السيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام حبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بمالها وكان يثنى عليها في هذا الموقف ويقول مثيراً إلى فضلها إنها آمنت بي حين كذبنا الناس وواستنـى بمالها حين حرمـى الناس .

ومما تقدم ترون أن الرجال الذين لا يقومون بواجب النفقة على الأسرة مخطئون واللائي يتخلين من النساء الموسرات عن معاونة الأسرة مخطئات وواجب على الطرفين أى يتراهما ويصححا موقفهما ويذعنـا لإرشـاد الله الذى لا يعلـوه إرشـاد .

المصاـبـرة :

والمصاـبـرة بين الزوجين واجبة لصيـانـة الأسرـة وـهـى مـأـجـورـة من الله تعالى ، ولو فـهـمـ الأـزـواـج رـوـحـ الـدـيـنـ ما قـامـ بـيـنـ الزـوـجـيـنـ شـقـاقـ لـأـتـفـهـ الأـسـبـابـ .

ولـابـدـ أنـ يـفـهـمـ الـطـرـفـانـ أـنـهـماـ بـشـرـ وـتـقـعـ الـخـطـيـئـةـ مـنـ كـلـ مـنـهـماـ وـوـاجـبـ عـلـىـ الـطـرـفـيـنـ أـنـ يـتـسـامـحـاـ حـتـىـ لـاـ تـسـعـ شـقـةـ الـخـلـافـ .

وـعـنـدـ اـسـتـحـكـامـ الـخـلـافـ يـجـبـ أـنـ يـتـدـخـلـ الـعـقـلـاءـ مـنـ أـهـلـ الزـوـجـ وـالـزـوـجـةـ لـإـصـلـاحـ ذـاتـ الـبـيـنـ وـيـجـبـ أـنـ يـسـتـمـعـ الـزـوـجـانـ إـلـىـ نـصـيـحـةـ الـعـقـلـاءـ وـمـاـ أـحـلـىـ مـاـ يـقـولـهـ اللهـ إـرـشـادـاـ لـهـمـاـ فـيـ هـذـاـ الـمـقـامـ : ((إـنـ يـرـادـاـ إـصـلـاحـاـ يـوـفـقـ اللهـ بـيـنـهـمـ))

^١ الآية ٣٠ من سورة النساء .

ويجب على الزوجين التمساس العذر لبعضهما البعض حتى يتغلبا على هوا جس النفس والشيطان ولا يقوم بينهما سوء ظن يتبعه نفور مستحكم .

كذلك يجب على كل منهما أن يجاهد نفسه في نزعات الهوى التي قد تنشأ عن اختلاف الشكل ، فكثيراً ما يعوض الله بعض النقائص بفضائل خلقية أو عقلية وإذا نظر كل إلى المجموع إرتاح لدoram العشرة والآية الكريمة المتقدمة " إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهم " تفيد أن النية الطيبة التي ينويان بها المعايشة الزوجية تكون سبباً في التوفيق بينهما على الدوام .

ومن طريف ما قرأت في هذه المناسبة أن عمران الخارجي كان دميم الخلقه وكانت امرأته من أجمل النساء ، فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أنني وإياك من أهل الجنة ، قال كيف قالت لأنك رزقت مثلث فشكرت ورزقت مثلث فصبرت والجنة موعودة للصابرين والشاكرين .

تعدد الزواج وسوء استعمال الحق فيه :

ومن دواعي الخلاف في الأسرة تعدد الزواج وخاصة إذا أسيئ استعمال الحق فيه ولم يكن عن ضرورة ملحة .

نعم إن الله تعالى أباح تعدد الزواج ولكن قيده بعدل لا يتأتى لبشر إلا في القليل الذي لا يقاس عليه .

ولو تحري المؤمنون رشداً لتجنبوا تعدد الزواج ولما لجأوا إليه إلا عند الضرورة القصوى التي تبرره بيقين ، وذلك لأسباب اجتماعية ومالية أبرزتها الآية الكريمة إبرازاً لا خفاء فيه : ((وإن خفتم ألا تقطنوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاثة ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)) .

^١ الآية ٣ من سورة النساء

وإذا رجع إخوانى إلى الآية التى قبل السابقة وهى :
 ((وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً
 كبيراً)) .

فإذا ربطنا بين الآيتين وجدنا أن الله قاس الاعتداء على أموال اليتامى بالاعتداء على حق
 الزوجات عند التعدد بعدم العدل بينهن ، وإن فهو حوب كبير والحبوب الكبير هو الذنب العظيم
 وما أروعه من قياس مخيف .

والذى يخلص الرجال من هذا الحوب الكبير هو أن يكتفى الزوج بزوجة واحدة اتباعاً لقوله
 تعالى ((فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)) ما لم تلجم الزوج ظروف خاصة تخرجه عن هذه
 القاعدة والمؤمن أمين على دينه وسيقول الله يوم القيمة ((اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
 حسبياً))

هذا من الناحية الاجتماعية ؟

أما من الناحية المالية فما أبدع قوله تعالى ((ذلك أدنى ألا تغولوا)) ولا شك أن تعدد
 الزوجات مدعوة لكثرة الأولاد ، وكثرة الأولاد مدعوة لزيادة النفقة وفي اللغة عال الرجل عياله
 يعولهم كقولك ما نهم يمونهم إذا أنفق عليهم ، وإلى هذا ذهب الإمام الشافعى فى تفسير تلك
 الآية وحسبك به حجة فى العلم .

وإن التزم أسلافنا الصالحون جانب الحذر يحكم هذا الإرشاد الربانى ، فنحن أحوج منهم إلى
 الحذر فى الزمن الحاضر وأين نفقاتنا اليوم من نفقتهم بالأمس .

^١ الآية ٢ من سورة النساء .

^٢ الآية ٤ من سورة الأسراء .

ومن عجب أن يقول العوام في تبرير تصرفهم السيئ في تعدد الزواج دون مبرر صحيح ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد الزواج وهم في هذا التبرير يجهلون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدد الزواج لشهوة جسدية كما يفعلون ولكن لغaiات دينية عظمى . ولدقة هذا المقام أسوق شيئاً من التفصيل :

قليل من المسلمين من يعرف أن حبيبا المصطفى صلى الله عليه وسلم على كثرة من تزوجهن لم يتزوج بكرًا إلا السيدة عائشة وكان ذلك بعد أن جاوز الخمسين ، وهذا وحده كافى لدفع قالة السوء .

أما أولى زوجاته فهو أم المؤمنين سيدتنا خديجة رضوان الله عليها وكانت حين تزوجها ثيباً في سن الأربعين وكان هو في سن الخامسة والعشرين ولم يتزوج عليها قط مدة حياتها . ثم إنه تزوج بالسيدة صفية بنت حي وقد كانت يهودية وأسلمت كما كانت السيدة مارية قبطية وأسلمت وفي ذلك تأليف لأهل الكتاب للدخول في الإسلام .

وتزوج أم المؤمنين زينب للحكمة التي بينها الله :

((وإن تقول للذى أنعم الله عليك وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله تخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعىائهم إذا قصوا منها وطراً وكان أمر الله مفعولا)) 'وتزوج بسائر أمهات المؤمنين لظروف بيتها كتب السيرة وليس لها الطابع الذي يتخرص به المترخصون .

وفضلاً عن أن الرسول المعصوم صلوات الله عليه أعدل البشر على

¹ الآية ٣٧ من سورة الأحزاب

الإطلاق فإن أبىح له يبح لغيره فخوطب من ربه :

((ترجى من تشاء منهن وتوى إلىك من تشاء ومن ابتغى من عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضى بما آتتنهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما)) .

وأراد الله بذلك أن يطمئن نفوس أمهات المؤمنين لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض معطى من الله تعالى لرسوله الكريم رضي بقسمته صلى الله عليه وسلم ولم تدخلهن غيرة الأزواج ، ومع ذلك التفويض الواسع كان صلوات الله عليه يخشى الله ويتقيه ويعدل في القسمة بين أزواجه ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ، يشير بذلك إلى ميله القلبي لسيدة نائمة رضي الله عنها .

هذا إلى أن نساءه صلى الله عليه وسلم قمن بمعاونته في نشر الفضائل وكن القدوة الطيبة بين النساء بالمثل العليا التي التزمتها علمياً وعملياً امثلاً لقوله تعالى : ((يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولنا معروفاً ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً)) .

بين الله لهن بذلك الآيات أنه تعالى إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن ليحذر أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم من المأثم ولتصدح عنها بالتفويض الخليقة بهم رجالاً ونساء واستعار الله للذنب الرجس وللتقوى الطهر .

^١ الآية ٥١ من سورة الأحزاب .

^٢ الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ سورة الأحزاب .

وهذه القدوة الطيبة لها مغنمها ومغنمها :

((يانسأة النبى من يأتى منك بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ، ومن يقنت منك الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتنى لها رزقا كريما))^١ ثم تعالوا نذكر فضلهن فى الإبلاغ عن سيد المرسلين مما بقى تراثا نافعا لنا فى الدين على مر السنين ، واية بركة كانت لأم المؤمنين سيدتنا عائشة على الأخص فى نقل الحديث النبوى الشريف إلى الأمة المحمدية وكفى بهن شرفا رضوان الله عليهم أن يقول الله فيهم : ((يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سرحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منك أجرًا عظيما))^٢ .

وقد اخترن رضوان الله عليهم الله ورسوله والدار الآخرة ، وبإله من شرف على هاماتهن فى الدنيا والآخرة . وقد روى أنه حين نزلت الآياتان المتقدمتان بدأ صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة وكانت رضوان الله عليها أحبهن إلى قلبه الظاهر فخيرها وقرأ عليها ما نزل وقال لها إنى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجل فى فيه حتى تستأمرى أبويك ، فقالت وهى الرشيدة الموفقة أفى هذا استأمر أبوى ، فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، فرُؤى الفرح فى وجهه صلى الله عليه وسلم وكذلك جاراها سائر أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم .
والناظر بدقة فى قوله تعالى :

((لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك

^١ الآياتان ٣٠ ، ٣١ من سورة الأحزاب .

^٢ الآياتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة الأحزاب .

حسنهم إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً^١ .

يخرج منه بأن زواجه صلى الله عليه وسلم لم يكن لأغراض شهوانية وحاشاه وهو الذي نفخ في الأرواح بإذن الله فأحياها من مواتها ووصلها بالملأ الأعلى الذي هبطت منه وتعود إليه عند انتهاء الأجل .

وجدير بالتنويه أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم رفض بشدة أن يتزوج الإمام على زوجة أخرى مع سيدتنا فاطمة الزهراء ، وإليكم الحديث الشريف الذي جاء في هذا الشأن والوارد في الصحاح .

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول : إن بنى هشام بن المغيرة استاذوني أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتى بضعة مني يربينى ما رابها ويؤذينى ما آذها ، رواه الخمسة .

وكفاه دليلاً ساطعاً على أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يشجع تعدد الزواج مع حله ، كما أنه دليل على أن تعدد زواجه صلى الله عليه وسلم لم يكن لأغراض شخصية بل لأغراض دينية تسمو فوق كل اعتبار وما يعقل ذلك إلا العالمون .

رعاية الأولاد والعدل بينهم :

الأولاد أمانة في أعناق آبائهم وأمهاتهم ويجب على الوالدين رعاية أولادهم في عقائدهم وأخلاقهم كما يجب عليهم العدل بينهم وعدم التمييز بحجج لا يرضها الله ورسوله . فاما عن العقيدة ، فانظروا إلى عناية سيدنا يعقوب بها وهو على فراش الموت .

((ألم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من

^١ الآية ٥٢ من سورة الأحزاب .

بعدى قالوا تعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إليها واحداً ونحن له مسلمون ^١))

..

وتأملوا فيما نصح به لقمان ابنه :

(وإن قال لقمان لابنه وهو يعظه با بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون ، يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ، يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصرع خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحبا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقتصر فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ^٢)

أما عن العدل فما أوضح قوله تعالى :

(يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منها السادس مما ترك إن كان له ولد وإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثالث فإن كان له إخوة فلأمه السادس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرؤن أيهما أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيمًا ^٣))

^١ الآية ١٣٣ من سورة البقرة .

^٢ الآيات ١٣-١٩ من سورة لقمان .

^٣ الآية ١١ من سورة النساء .

والمتأمل في الآية الكريمة يرى أنها جعلت نصيب الأنثى أساسياً ونصيب الذكر مقيساً عليه ، ولم يقل الله للأنثى نصف الذكر وهي بلاعة إلهية تعلم الناس أن يخافوا الله في حقوق أولادهم وخاصة أولئك الذين يحرمون البنات من الميراث وهم أحياء ، أو يقللون نصيبهم بحجة أنهن متزوجات بغيراء عنهم وأن الذكور من أحفادهم أولى لأنهم أبناء البطون وهذا والله هو الظلم بعينه وسائل الله أن يغيرنا منه ومن تبعاته . ولو أنكم وقتم قليلاً عند قوله تعالى :

((آباؤكم وأبناءكم لا تدرؤن أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيم)) .

تبين لكم أن قسمة الله العليم الحكيم أولى بالإتباع من قسمة الأهواء الشخصية ويؤكد ذلك المعنى قوله تعالى ((فريضة من الله ، وليس لأحد أن يخالف ما فرضه الله .

وفي هذه المناسبة أذكر رجلاً جاء إلى شيخنا العارف بالله سيدى الشيخ أبو خليل قطب عصره ، وساكن ضريحه الأنوار بالزقازيق ، فقال أريد أن أميز ابني فلاناً على أخواته بهذا وكذا ، فسكت الشيخ رضى الله عنه ولم يجده ، وطال سكوته فقال له أحد الجالسين إن السائل ينتظر من شيخنا الجواب ، فقال له وأى جواب ينتظره مني إذا كان تقسيم الله لا يعجبه ، فهل يعجبه تقسيم أبو خليل فعدل الرجل عن عزمه وتاب إلى الله .

معاملة الأخوة :

ولما كان الإخوة هم فروع الشجرة في الأسرة وينتمون لأصل واحد فإن التسامح بينهم واجب مهما وقع بينهم من أسباب الخلاف .

وما أرق سيدنا يوسف الصديق عليه السلام في موقفه من إخوته وقد عاملوه معاملة قاسية كادت تودي بحياته لو لم تدركه عناء الله أقول

ما أرقه وقد عرفوه حاكما لمصر آخر الأمر و قالوا له ما حكاه الله في قوله تعالى : ((فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلاه الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل و تصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ، قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ، قالوا أنت لأنك لأنك يوسف قال أن يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين .

قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ^١))

و معنى لا تثريب عليكم أي لا أغيركم بما كان منكم ، وقد استعمل هذه الكلمة الطيبة أبو سفيان حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم حيث قال له العباس رضي الله عنه إذا أتيت رسول الله فاتل عليه ((لا تثريب عليكم اليوم)) ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولم علمك .

وما أوصى سيدنا موسى عليه السلام للرحم حين يدعو ربه :

((واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخي ، أشدد به أزرى ، وأشركه أمري ، كى نسبحك كثيرا ، إنك كنت بنا بصيرا ، قال قد أتيت سؤلك يا موسى ^٢))

وما ألين جانب سيدنا هارون عليه السلام حين أخذ برأسه سيدنا موسى وهو غاضب الله إذ رأى قومه كفروا به :

((يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قوله ^٣))

فهلا يفيد الإخوة في هذا الزمان من ذلك القصص البديع فيأتلفون

^١ الآيات من ٨٨ إلى ٩٢ من سورة يوسف .

^٢ الآيات من ٢٩ إلى ٣٦ من سورة طه .

^٣ الآية ٩٤ من سورة طه .

ولا يختلفون ويتسامرون ولا يتباغضون .

معاملة ذوى الأرحام والجيران :

ما أبدع ما يقول الله تعالى :

((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً)) .

والإحسان يكون بالقول والفعل والإنفاق عليهم عند الاقتضاء ، وكفاحاً عظة أن يجيء الأمر بالإحسان إلى هؤلاء بعد الأمر بعبادة الله وتوحيده .

ولا يخفى أن إعانة المحتاج صدقة فإذا كان من ذوى الأرحام فإنها تكون لصاحبها صدقة وصلة رحم ، وإذا كان ذو الرحم يتينا وجاحدت نفسك فأحسنت إليه أعانك إحسانك إليه على أن تكون من أصحاب اليمين بدليل قوله تعالى :

((فلا اقتحم العقبة ، وما أدرك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذى مسبحة ، يتينا ذا مقربة ، أو مسكنينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة)) .

وقد قال مولانا الحسن السبط رضى الله عنه ((عقبة والله شديدة مجاهد الإنسان نفسه وهواد وعدوه الشيطان)) .

ومن طريق ما قرأته أن بعض الصالحين كان إذا جاءه محتاج يهش فى وجهه ويقول له مرحباً بمن جاء يحمل زادى إلى الآخرة بغير أجرة .

إذا أساء إليك بعض ذوى الأرحام فضنت نفسك عليه بتأثير من هذه الإساءة فارجع إلى قوله تعالى :

^١ الآية ٣٦ من سورة النساء .

^٢ الآيات من ١٨ - ١١ من سورة البلد .

((ولا يتأل ألو الفضل منكم والسعنة أن يؤتوا أولى القربي والمساكين المهاجرين فى سبيل الله وليعفوا ولি�صفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)) .

وهذه الآية الكريمة نزلت فى شأن مولانا أبي بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وكان مسكونا بدويا مهاجرا ، ولما قرأها حببنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على سيدنا أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد إلى مسطح نفقة .

وقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن حببنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثا جاما فى معاملة الجار قال - قلنا يا رسول الله ما حق الجار قال : إن استقرضك أقرضته وإن استعانك أعتنه ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته - وإن أصابه خير سرك وهنئته ، وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيتها ولا تؤذه بقتار ^١ قدرك إلا أن تعرف له منها . ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه . وإن اشتريت فاكهة فاھد له منها وإن فادخلها سرا ولا يخرج ولدك بشئ منها بغيظون به ولده - وهل تفهون ما أقول لكم لن يؤدى حق الجار إلا القليل من رحم الله أو كلمة نحوها .

وقال العلماء الوصاة بالجار مأمور بها مندوب اليها مسلما كان أم كافرا ، وروى البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى - قال إلى أقربهما منك بابا .

وقال حببنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عند

^١ الآية ٢٢ من سورة النور .

^٢ قتار القدر أى رائحته .

تفرق لحم الأضحية : إبدئي بجارنا اليهودي .

وروى أن شاة ذبحت فى أهل عبد الله بن عمر رضى الله عنهم . فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودى - ثلث مرات - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

ويرحم الله أمير الشعرا شوقى إذ يقول :

كل المرءة فى الإسلام والحسب
ولا أزيدك بالإسلام معرفة

وقد روى أن حبيبا المصطفى صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحتين ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظه فقطع قضيبين أحدهما معوج فخرج وأعطى لصاحب القوييم ، فقال كنت يارسول الله أحق بهذا فقال كلا يا فلان إن كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صاحبته ولو ساعة من نهار .

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن للسفر مروءة وللحضور مروءة ، فأما المروءة فى السفر فبدل الزاد وقلة الخلاف على الأصحاب وكثرة المزاح فى غير مساقط الله ، وأما المروءة فى الحضر فالإدمان إلى المساجد وتلاوة القرآن وكثرة الإخوان فى الله عز وجل .

ولبعض ذوى المروءة من بنى أسد :

إذا مارفيقى لم يكن خلف ناقى له مركب فضلا فلا حملت رجلى
ولم يك من زادى له شطر مزودى فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا فضل
شريكان فيما نحن فيه وقد أرى على له فضلا بما نال من فضلى

حرمة المسلم :

كل المسلم على المسلم حرام دمه وما له وعرضه ، هكذا علمنا حبيبا المصطفى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع .

والنظر في كتاب الله الكريم يراه قد نهى عن القتل :
 (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) ^١ .

كما نهى عن أكل المال بالباطل :
 (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدعوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) ^٢ .

وقد قال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم للخصمين إنما أنا بشر وأنت تختصمون إلى ولعل بعضكم أحن بحجه من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت به بشئ من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإن ما أقضى له قطعة من نار فبكيأ وقال كل واحد منها حق لصاحبى .

وخص مال اليتيم بقوله :

(إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) ^٣
 وقد روى أنه يبعث آكل مال اليتامي يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا .

أما العرض فقد صانه الله بسياج قوى من قوله تعالى :

(إن الذين يرمون المحسنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا)

^١ الآية ٩٣ من سورة النساء .

^٢ آية ١٨٨ من سورة البقرة .

^٣ الآية ١٠ من سورة النساء .

وآخرة ولهم عذاب عظيم ^١)

آداب عامة :

جاء القرآن بآداب عامة غاية في الروعة ولو راعاها الناس وعملوا بها لأراحوا واستراحوا وأخص من تلك الآداب ما يأتي :

حرمة البيوت :

استمعوا إلى الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلهما ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكي لكم والله بم تعلمون علیم ^٢) .

قارنوا بين هذه الآداب التي رسمتها تلك الآية وما يقع لكم من مضائقات بسبب الخروج عليها

السخرية :

نهى الله تعالى عن السخرية أبلغ نهى ، فقال جل جلاله :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلزموا أنفسكم لوا تنازبوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتتب فأولئك هم الظالمون . ^٣)

^١ الآية ٢٣ من سورة النور .

^٢ الآياتان ٢٧ و ٢٨ من سورة النور .

^٣ آية ١١ من سورة الحجرات .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول (الباء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشت أن أحول كلبا) فأين هذا مما نحن عليه الآن ؟

التجسس والغيبة وسوء الظن :

كذلك جاء النهى عن التجسس والغيبة وسوء الظن في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضا أيا بكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم^١) . وقد روى أن سلمان رضي الله عنه كان يخدم رجلين من الصحابة ويسمى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبلغى لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما عندى شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه إلى بئر سمحة لغاص ماوتها فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم مالى أرى خضرة اللحم في أفواهكم ف قالا ماتناولنا لحما قال أنكم قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يقرر الله تعالى :

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله^٢)) .

^١ آية ١٢ من سورة الحجرات .

^٢ الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

ويقول :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ^١) .

وهذه الأمة بحمد الله وفضله مستجيبة للأمراء بالمعروف والناهين عن المنكر فليكن ذلك مشجعاً لأهل الفضل في نشر الدعوة إلى الخير بينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بالقلم واللسان والأسوة الحسنة من مسلكهم الذي يمشون به في الناس .

لين الجانب :

ولين الجانب من خير ما يوهب المرء في أخلاقه لأنه يؤلف الناس بعضهم ببعض ألا ترى كيف امتدح الله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذه السجية فقال تعالى : (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزتم فتوكل على الله إن الله يحب المتقين) ^٢

رفع التكف مع الأهل والأصدقاء :

وانظر كيف يعلمنا الله الاختلاط السمح مع الأهل والأصدقاء دون حرج أو تكلف فيقول جل شأنه :

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت

^١ الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

^٢ الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو شتاناً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبین الله لكم الآيات لعلكم تعقلون)^١

المروة مع أهل الضعف :

ومن مروة أهل الإيمان أن يعين قويهم ضعيفهم لا يبتغى بذلك إلا مرضاه الله ، ألسنت ترى إلى مروة سيدنا موسى عليه السلام وهو يعين بنتى نبى الله شعيب عليه وعلى سائر أنبياء الله أفضل الصلاة وأتم السلام فيما حكاه الله تعالى :

((ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم إمرأتين تذودان قال ما خطبكمما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبوناشيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير .)^٢

حسن المسلوك واعتداله :

وااغنم يا أخي حسن المسلوك واعمل بما أنزله إليك ربك من الحكم المحكمة النافعة لك في دينك ودنياك واستمع اليه تعالى إذ يقول ناصحا لك : (وَاتَّذَاتِ الْقَرْبَىٰ حَقَهُ وَالْمُسْكِنُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ، وَإِمَّا

^١ آية ٦١ من سورة النور .

^٢ الآياتان ٢٣ و ٢٤ من سورة القصص .

تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعده خيراً بصيراً ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليته سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ، واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ، ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، ولا تمشي في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ، كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً ، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إليها آخر فتلقي في جهنم ملوماً مدحوراً .^١

الروية وأخذ الأمور بالحذر .

وما أحسن ما يعظنا الله به في قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .^٢

^١ الآيات من ٣٩ / ٢٦ من سورة الإسراء .

^٢ الآية ٦ من سورة الحجرات .

(ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) ^١

عبد الرحمن :

ولست أدعى أنى ألمت بكل النواحي الاجتماعية فى القرآن على كثرة ما سمعتم منى ولكنى أستطيع أن أقول فى ثبات واطمئنان أنتا لو طبقنا عمليا ما سمعناه الليلة لخشعت قلوبنا وجوارحنا لله ولكننا من عباده الصالحين الذين نسبهم اليه تعالى تشريفا لأقدارهم وقال فى وصفهم : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله إليها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سينياتهم حسنا و كان الله غفورا رحيم ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كرما ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما .) ^٢

وفقى الله وإياكم لما يحب ويرضى وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

^١ الآية ١١٢ من سورة النساء .

^٢ الآيات من ٦٣ - ٧٦ من سورة الفرقان .